

كتابٌ هو تَعْلَةُ الْمَسَافِرِ، وَأُنْسَةُ الْمَسْتُوحَشِ، وَزُبْدَةُ الْوِصَالِ، وَعُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ. كتابٌ هُوَ رُقِيَةُ الْقَلْبِ السَّلِيمِ، وَغُرَّةُ الْعَيْشِ الْبَهِيمِ. كتابٌ هُوَ سَمَرُ بَلَا سَهَرٍ، وَصَفْوُ بَلَا كَدَرٍ. كتابٌ تَمَتَّعْتُ مِنْهُ بِالنَّعِيمِ الْآبِيضِ، وَالْعَيْشِ الْأَخْضَرِ، وَاسْتَلَمْتُهُ اسْتِلَامَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، وَكَلْتُ طَرْفِي مِنْ سُطُورِهِ بَوْشِي مَهْلِلٍ، وَتَاجٍ مَكْلَلٍ، وَأَوْدَعْتُ سَمْعِي مِنْ بَدَائِعِهِ مَا أُنْسَانِي سَمَاعُ الْأَغَانِي، مِنْ مَطَرِبَاتِ الْغَوَانِي. نَشَأْتُ سَحَابَةً مِنْ رَوْضِكَ غِيَمُهَا نَعْمَةٌ سَابِغَةٌ، وَغِيْثُهَا حَكْمَةٌ بَالِغَةٌ. سَقَتْ رَوْضَةَ الْقَلْبِ، وَقَدْ جَهْدْتُهَا يَدُ الْجَذْبِ، فَأَهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ، وَآكْتَسَتْ مِمَّا آكْتَسَبَتْ. كتابٌ حَسْبُهُ سَاقِطٌ إِلَيَّ مِنَ السَّمَاءِ أَهْتَزَّازًا لِمَطْلَعِهِ، وَآبَتْهَا جَاءَ بِحَسَنِ مَوْقِعِهِ. تَنَاوَلْتُهُ كَمَا يُتَنَاوَلُ الْكِتَابُ الْمَرْقُومُ، وَفَضَضْتُهُ كَمَا يُفَضُّ الرِّحْقُ الْمَخْتُومُ. كتابٌ كَالْمَشْرِقِ شَرِقَ بِهِ الْمَسِيرُ وَقَمِيصُ يَوْسُفَ جَاءَ بِهِ الْبَشِيرُ. هُوَ فِي الْحَسَنِ رَوْضَةٌ حَزْنٌ، بَلْ جَنَّةٌ عَدْنٌ، وَفِي شَرْحِ الْنَفْسِ، وَبَسَطِ الْأَنْسِ، بَرْدُ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ، وَقَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ. قَدْ أَهْدَيْتُ إِلَيَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِي وَرْقِهِ، وَمِبَاهِجَ الْحُلُلِ وَالْحُلِيِّ مَحْصُورَةً فِي طَبَقِهِ. كتابٌ أَلْصَقْتُهُ بِالْقَلْبِ وَالْكَبِدِ، وَشَمَمْتُهُ شَمَّ الْوَلَدِ. وَرَدَّ مِنْهُ الْمِسْكُ ذَكِيًّا، وَالزَّهْرُ جَنِيًّا، وَالْمَاءُ مَرِيًّا، وَالْعَيْشُ هَنِيًّا، وَالسِّحْرُ بَابِلِيًّا. كتابٌ مَطْلَعُهُ أَهْلَةُ الْأَعْيَادِ، وَمَوْقِعُهُ مَوْجِعُ نَيْلِ الْمُرَادِ.

وصف قصر الكتب

كتابٌ وَجَدْتُهُ قَصِيرَ الْعَمْرِ، كَلِيلِيَّ الْوَصْلِ بَعْدَ الْهَجْرِ. لَمْ أَبْدَأْ بِهِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ، وَقَارِبَ الْآخِرَ الْأَوَّلِ. كتابٌ مَنَقَّصُ الْأَطْرَافِ، مَقْتَطَعُ الْأَكْنَفِ، أَبْتَرُ الْجَوَارِحِ، مُضْطَرِبُ الْجَوَانِحِ. كَأَنَّهُ تَعْرِيفُ مَتَحَرِّزٍ، أَوْ تَوْقِيعُ مُبْرَزٍ. كتابٌ يَلْتَقِي طَرَفَاهُ، وَيَتَقَارِبُ مُفْتَتِحُهُ وَمُنْتَهَاهُ. كتابٌ آتَفَقَ طَرَفَاهُ صِغَرًا، وَاجْتَمَعَتْ حَاشِيَتَاهُ قِصَرًا، مَا أَظُنُّنِي ابْتِدَائُهُ، حَتَّى خَتَمْتُهُ، وَلَا افْتَتَحْتُهُ حَتَّى اسْتَمْتَمْتُهُ، وَلَا لِمَحْتُهُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْتُهُ، وَلَا نَشَرْتُهُ، حَتَّى طَوَيْتُهُ، وَأَحْسَبُنِي لَوْ لَمْ أَجُودْ